



مرة أخرى يسأل المرء نفسه عن الذي جرى على الحدود اللبنانية السورية في الأسابيع الفائتة! فحرب الجروود التي خاضها «حزب الله» ضد «جبهة النصرة» وأفضت إلى انسحاب 120 مقاتلاً من النصرة كانوا يتمركزون على طرفي الحدود، كان ضجيجها أكبر من نتائجها، وخلف مشهد «النصر المبين» ثمة وقائع وحكايات يشيح اللبنانيون وجوههم عنها.

الحرب المزعومة لن تقترب من حقيقة أن هناك أكثر من مليون لاجئ سوري قذفthem الحرب الحقيقة في سوريا إلى لبنان. أكثر من مليون لاجئ بلا دهم مدمراً، وتقيم النسبة الأكبر منهم في مخيمات مرتجلة وغير معترف بها، يدفعون فيها إيجار الأرض التي ينصبون عليها خيمهم، ويعملون بأجور زهيدة، ولم يذهب أطفالهم إلى المدارس للسنة السادسة على التوالي. عنوان هذا القضية اللبناني، هو الضيق بهم، وإشاحة النظر عن قصصهم الصغيرة التي حملوها معهم. والجواب اللبناني عن سؤال اللاجئين كان «حرب الجروود» التي صورت بصفتها مدخلاً لحل لبناني لهذه القضية!

هذه الحرب الوهمية لم تقترب من قضية اللاجئين، إن لم نقل إنها فاقمتها. وحكايات النازحين أوسع بكثير من تلك الحرب الضيقة على تخوم عرسال. هي في حجم الدمار الهائل في سوريا، ومرشحة لأن تكون مولدة لمزيد من المأساة طالما أن العالم كله يتصرف على نحو ما تصرف لبنان في مأثرة الجروود، أي انه اختصر مأساتهم بمئة وعشرين إرهابياً كانوا يتمركزون على حدوده. وإشاحة الوجه عن حكاياتهم يوازيها إشاحة وجه عن حكاية أخرى تتمثل في أن النظام السوري حكمتنا، لا يريد للاجئين أن يعودوا. هو اليوم يسيطر على أكثر من 80 في المئة من مناطق نزوحهم، أي حمص والقصير حكمتنا، لا يريد للاجئين أن يعودوا. و«حزب الله» أيضاً لا يريد عودتهم، فهم كتلة ديمografية تعيد رسم الخريطة المذهبية في المناطق التي «انتصر» فيها الحزب في سوريا.

إذاً الضيق اللبناني باللاجئين السوريين هو ضيق بالنفس، وهو ينطوي على صفافة سياسية وأخلاقية لا تخطئها عين. من جهة إشاحة النظر عن قصة مأساتهم، ومن جهة أخرى تحميلهم تبعات سقطاتنا الأخلاقية وانحيازنا إلى نظام تسبب

بمأساتهم وقتلنا إلى جانبه.

لبنان هذا، لم يوجه سؤالاً واحداً إلى الحكومة الحليفة في دمشق تتعلق بقضيتهم. واستعراض عن ذلك بأن تعامل معهم بصفتهم مسؤولين عن مأساتهم ومأساته. مئات آلاف الأطفال خارج المدارس، لم تلتفت إليهم الصائفة اللبنانية إلا بصفتهم مشاريع «إرهابية» على وشك التتحقق. إنهم «عبء» على رغم انشغالنا بالفساد الذي رافق عمليات الإغاثة الدولية والبالغ التي تتراصها وزاراتنا ووزراؤنا من الصناديق الدولية لمساعدتهم. إنهم عبء بينما النظام الذي هجرهم له مكان واسع في قلوبنا. إنهم عبء على رغم أنهما القوة العاملة الوحيدة في قطاعي الزراعة والبناء. وهم عبء على رغم أن أحداً لم يقل لنا شيئاً عن قيمة الفاتورة اللبنانية المتوجبة على هذا العبء بعد أن نحذف منها حجم المساعدات الدولية التي تبلغ نحو بليون يورو سنوياً.

القضية ليست أعباءهم التي تترجم أحياناً غنائم. القضية أنهم رقم مذهبى في المعادلة اللبنانية، وهذا يعييناً مرة أخرى إلى حقيقة أن لبنان المذهبى ساهم في تهجيرهم من بلادهم إلى بلادنا. التغيير الديموغرافي في سوريا لن يُنجز من دون تهجير مذهبى في لبنان. هذه حقيقة ثقيلة على قلوب لبنانية كثيرة ساهمت في المهمة السورية، وتقفاليوم عاجزة أمام المعادلة المستجدة في لبنان.

مدن السوريين المدمرة لن تؤوي هؤلاء اللاجئين. حمص وحلب والقصير وبيروت كلها اليوم تحت سيطرة النظام. والأخير لم يطلب من يفترض أنهم مواطنوه أن يعودوا! وهذا ليس مؤشراً للمرتعدين اللبنانيين من اللاجئين إلى أن المسؤولية تقع على حليفهم وليس على طفل سرق وزراء ومسؤولون لبنانيون المساعدات الدولية التي وصلت لإغاثته.

الحياة

المصادر: